قَبَسُ النُّورِ الْمُبِينِ مِنْ إِضَاءَاتِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَۖ}

2025-06-20

الحمد لله أمر بالتذكير في محكم كتابه. ووعد المتذكّرين بجزيل ثوابه. وتوعّد المعرضين عن التذكرة بأليم عقابه. فسبحانه من إله مَا عَرَفَهُ الْعِبَادُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَقْدُرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ؛ فَكَفَرَ بِهِ مَنْ كَفَرَ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَى، وَقَصَّرَ فِي طَاعَتِهِ مَنْ قَصَّرَ، وَلَوْ عَرَفُوا عَظَمَتَهُ سُبْحَانَهُ، لَمُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ هَيْبَةً لَهُ وَإِجْلَالًا، وَمَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَلَوْ عَلِمُوا قُدْرَتَهُ سُبْحَانَهُ، لَمَا تَعَلَّقَتْ قُلُوبُهُمْ بِغَيْرِهِ، وَلَوْ أَدْرَكُوا جَزَاءَهُ، لَنُصِبَتْ أَرْكَانُهُمْ فِي طَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ مِنْ رَحْمَةِ وَالِدِيهِمْ بِهِمْ، وَأَرْحَمُ بِهِمْ مَنْ رَحْمَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ أَنَارَ الطَّرِيقَ لِلسَّالِكِينَ، وَدَلَّلَ عَلَى أُلُوهِيَّتِهِ بِالْبَرَاهِينِ، وَأَقَامَ حُجَّتَهُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، {فَمَنِ اِهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ}، وَأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وصفيّه من خلقه وخليله. أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ مُصْلِحًا وَمُزَكِّيًا، وَعَلَى الفَضَائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًا، فأنزل عليه القرءان تنزيلا، وجعل تطبيقه على صِدق الإيمان دليلا، وجعل الاقتداء به شرطا حتى يكون عمل المسلم مقبولا، فَكَانَ صلى الله عليه وسلم قُدْوَةُ الصَّابِرِينَ، وَأُسْوَةُ السَّالِكِينَ،

يا أيّها الناس هذا سيّدُ الأُمَمِ * في طاعة الله رجّانا ورغّبنَا

ومِنْ مخالفة الرحمان رهّبنا * يا أمّةً سعِدَتْ هذا نبيّكمُ

صلّوا على الهادي إلى الدّين القويمْ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد، بغية السالكين المنتسِبين إلى الله. وعلى آله ذوي السيادة والجاه. وصحابته الفائزين برضى الله. صلاة تجعلنا بها من المهتدين بهداه. المغترفين من بحر كرمه ونداه. الساعين في تحصيل طاعته ونيل رضاه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب

العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الذاريات بأنّ: {ٱلذِّكْرِيٰ تَنفَعُ اُ۬لْمُومِنِينَۖ}، ولا يستفيد من نفعها الغافلون، الذين يقولون كما في سورة الأنفال: {سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَۖ}، بل هم عن التذكرة معرضون، ولأنهم بزخارف الشهوات لاهون، وبإثارة الشبهات مُفْتَتَنُون؛ قال تعالى في سورة الملك: {اَفَمَنْ يَّمْشِے مُكِبّاً عَلَيٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدِيَ أَمَّنْ يَّمْشِے سَوِيّاً عَلَيٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖۖ}، إنه سؤالٌ ممّن خلق الموت والحياة، والذي يبيّن عن حقيقة هذا الصنف، ووصفهم بقوله سبحانه كما في سورة : {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ اَ۬لْجِنِّ وَالِانسِۖ لَهُمْ قُلُوبٞ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٞ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٞ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۖ أُوْلَٰٓئِكَ كَالَانْعَٰمِ بَلْ هُمُۥٓ أَضَلُّۖ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لْغَٰفِلُونَۖ}، ويأتي التأكيد ببيان واضح عن مقياس التفاضل بين العباد؛ في قوله عز وجل في سورة الزمر: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِے اِ۬لذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَۖ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ اُ۬لَالْبَٰبِۖ}. أيّها المسلمون. إِنَّ المُؤْمِنَ الحَقَّ بَيْنَ شُكْرٍ وَصَبْرٍ، وَالشُّكْرُ إِيمَانٌ وَالصَّبْرُ إِيمَانٌ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الإِيمَانُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُ بِهَا المُؤْمِنُ أَنْ يَتَجَاوَزَ الأَزَمَاتِ، وَيَقْطَعَ بِهَا العَقَبَاتِ، وَيَنْجَحَ فِي الاخْتِبَارَاتِ، وَيَفُوزَ فِي الابْتِلاءَاتِ، وَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَكُونُونَ عَلَى هَذِهِ الحَالِ هُمُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللهُ الجَزَاءَ الأَوفَى، وَذَلِكَ الجَزَاءُ يَجِدُونَ أَثَرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَجْنُونَ ثَمَرَتَهُ فِي الآخِرَةِ؛ فَفِي الدُّنْيَا بَرَكَةٌ وَرِضًا، وَطُمَأْنِينَةٌ وَتَسْلِيمٌ، وَتَفْوِيضٌ وَتَوَكُّلٌ، وَفِي الآخِرَةِ فَوْزٌ عَظِيمٌ بِجَنَّةٍ فِيهَا كم أخبرنا الله تعالى في سورة الزخرف: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ اِ۬لَانفُسُ وَتَلَذُّ اُ۬لَاعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَۖ}، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ هَذَا الفَرِيقِ في سورة الأحزاب: {رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ اُ۬للَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضِيٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّنْ يَّنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاٗ لِّيَجْزِيَ اَ۬للَّهُ اُ۬لصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ اَ۬لْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ اوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمُۥٓۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ كَانَ غَفُوراٗ رَّحِيماٗۖ}، أيّها المسلمون. إِنَّ الإِيمَانَ شَجَرَةٌ كَرِيمَةٌ يَجِبُ أَنْ تُتَعَهَّدَ بِالسَّقْيِ؛ فَإِنْ سُقِيَتْ نَمَتْ وَأَزْهَرَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَحَصَدَ صَاحِبُهَا ثَمَرَتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قال تعالى في سورة النساء: {فَعِندَ اَ۬للَّهِ

ثَوَابُ أُلدُّنْيا وَالَاخِرَةِۗ}، وَإِنْ أَهْمَلَهَا صَاحِبُهَا اصْفَرَّتْ فَيَبِسَتْ، ثُمَّ كانَتْ حُطَامًا، قال تعالى في سورة الزمر: {اِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَذِكْرِيٰ لِأُوْلِے اِ۬لَالْبَٰبِۖ}، وَسَقْيُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ يَكُونُ بِالتَّذَكُّرِ وَالتَّذْكِيرِ، ولقد خاطبَ الله حبِيبَه ومصطفاه، صلى الله عليه وسلم، فقال في سورة الذاريات: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ أَلذِّكْرِيٰ تَنفَعُ اُ۬لْمُومِنِينَۖ}، وقال: { فَذَكِّرِ اِن نَّفَعَتِ اِ۬لذِّكْرِيٰۖ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَّخْشِيٰ وَيَتَجَنَّبُهَا اُ۬لَاشْقَي اِ۬لذِے يَصْلَي اُ۬لنَّارَ اَ۬لْكُبْرِيٰ}، وقال: {اِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَذِكْرِيٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ اَوَ اَلْقَي اَ۬لسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٞۖ}، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ المُؤْمِنُ مُحْتَاجًا إِلَى الذِّكْرَى لَمَا أَمَرَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ، وَلَمَا أَرْسَلَهُ مُذَكِّرًا فقَالَ لَهُ في سورة الغاشية: {فَذَكِّرِ اِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞۖ}. أيّها المسلمون. في الأيامِ القليلةِ الماضية، انقضى موسم من أشرف مواسم أهل الإسلام، ومرّت الأيام المعلومات ثم الأيام المعدودات، وكانت تلك الأيام محمّلة بالخيرات والمسرات، والفضائل والبركات، ذهب الحجيج وعاشوا رحلة الحج الأكبر، وتنقّلوا بين المشاعر، وتعرّضوا للنفحات؛ طمعاً في رضا رب الأرض والسماوات، ثم عادُوا بعدها فَرِحينَ بما آتَاهمُ اللهُ مِن فضلـهِ، مُستبشرِينَ بما مَنَّ عَليهم مِن توفِيقِهِ وحجِّ بيتِهِ، فهنيئًا لهم حجُّهم، وسعيهم، وعبادتهم، وجهادهم في طاعة الله، وفي سائر بلاد المسلمين، لم تغِب بشائر الخير، فقد أدرك الناس عشرَ ذي الحجة، وهي أفضل أيام الدنيا عند الله تعالى، فصاموا، وخصوصًا يوم عرفة، الذي يُكفّر صيامُه سنتيْن من الذنوب، حتى أصبح شبيهًا بأيام رمضان، لكثرة الصائمين فيه، حتى من صغار السن. ثم أقبل يوم النحر، فصلّوا، وقرّبوا الأضاحي، وامتلأت مصليات العيد بالتكبير والتهليل، وتتابعت أيام التشريق، يأكل فيها الناس ويشربون ويذكرون الله، فحمدوه وشكروه على نعمه، فما أجدرهم أن يفرحوا بذلك كله؛ وصدق الله العظيم حيث قال في سورة يونس: {قُلْ بِفَضْلِ اِ۬للَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٞ مِّمَّا يَجْمَعُونَۖ}، فلله الحمد والمنّة على ما منّ به على حجّاج بيته من إتمام نُسُكهم، وله الحمد والمنّة على ما يسّر لهم وأعانهم على إكمال هذه الشعيرة العظيمة، ونسأله سبحانه

أن يتقبّل من الحجّاج حجهم، وأن يرزقنا ويرزقهم الإستقامة على دينه، إنه جواد كريم. وهكذا يا عباد الله، تمضي مواسم الخير سريعًا، بل هكذا تمضي حياة الإنسان بأسرها، سريعة، قصيرة، خاطفة، ثم يجني المرء ما قدَّم فيها، فطوبى لمن أحسن عمله، وعمّر أيامه بالطاعات، فنال الأجر والثواب. أيّها المسلمون. إنّ من أعظم ما يحرص عليه المسلم بعد أدائه للعبادات والطاعات، أن يُقبَل عمله عند الله عز وجل، وأن يرى آثار هذا القَبول في نفسه وسلوكه وحاله. ومن أبرز علامات قَبول العمل الصالح، والحج المبرور، انشراح الصدر، وسرور القلب، ونور الوجه، واستمرار العبد في طاعة ربه ومداومته عليها. فإنّ الحسنة، تجرّ الحسنة، والطاعة تفتح باب الطاعات. وقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن أمّ المؤمنين السيّدة عائشة رضي الله عنها، أنه قال: ((إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))، فالمداومة على الطاعة دليل الإخلاص، وبرهان الصدق، وعلامة القبول. ولقد قال أهل العلم: شرع الله الإستغفار بعد نهاية كل عمل؛ لأنّ العبد قد يُقصّر من حيث لا يشعر، فيكون الإستغفار جابراً لهذا النقص، ومتمّماً لِمَا قد فات. ولقد أنزل الله سورة النصر على نبيّه صلى الله عليه وسلم في ختام حياته، وفيها توجيه رباني عظيم، قال الله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً}، أيّها المسلمون. فاتقوا الله عباد الله، وتذكّروا قول الحق في كتابه المبين: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا صَالِحَ الأَعْمَالِ، وَاجْعَلْهَا خَالِصةً لِوَجْهِكَ الكَرِيمِ. اللهم أشغل قلوبنا بحبك، وألسنتنا بذِكرك، وأبداننا بطاعتك، وعقولنا بالتفكّر في خلقك، والتفقّه في دينك، اللهم تقبّل أعمالنا، واكتب لنا القَبول والرضا، وزكِّ نفوسنا، وطهّرها من الغِلّ، والحسد، والنفاق، وسوء الأخلاق، اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم أحينا مسلمين، وتوفّنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللهم كن لإخواننا المستضعفين المظلومين في كل مكان ناصراً ومؤيداً ومعيناً، اللهم كن لهم

في فلسطين وغزة الجريحة نصيراً، اللهم فرّج كربهم، وآمن روعهم، واشفِ جرحاهم، وتقبّل شهداءهم، وارزقهم الصبر والثبات والتمكين. اللهم إنهم مظلومون فانتصر لهم، وإنهم مستضعفون فكن لهم، وإنهم جياع فاشبعهم، وعراة فاكسهم، وخائفون فآمِنهم، ومحاصرون ففكّ الحصار عنهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم من أراد بأهل غزة خيراً فوفّقه لكل خير، ومن أراد بهم سوءاً فاجعل تدبيره تدميره، ورد كيده في نحره يا سميع الدعاء. اللهم أحفظ الحجاج والمعتمرين في برك وبحرك وجوك واجعل حجهم مقبولاً وذنبهم مغفوراً وسعيهم مشكوراً، وردهم إلى أهلهم سالمين غانمين. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمْ وَعَافِهِمْ واعْفُ عَنْهُمْ، وَمَنْ كَانَ حَيًّا فَبَارِكْ فِي عَمَلِهِ وَعُمُرِهِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا. وعَلَى طَاعَتِكَ أَعِنَّا. وَمِنْ شُرُورِ خَلْقِكَ سَلِّمْنَا. بفضلك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين يا ربّ العالمين. وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
اهـ